اجتهادات
بين العلم و السياسة

كان فى طريقه إلى الصدارة عالمًا كبيرًا يستخدم المناهج الجديدة فى علم الاقتصاد. عندما أصدر توماس بيكيتى كتابه (رأس المال فى القرن 21) عام 2013، كان أول عمل كبير يُعيد الاعتبار إلى مبادئ المساواة والعدالة الاجتماعية، بعد أن أهال الليبراليون الجدد التراب عليها. كان عملاً كبيرًا أُعد بطريقة علمية منهجية، بعيدًا عن الانحيازات السياسية والفكرية السافرة. لكن بيكيتى لم يواصل هذه الطريق، وعاد إلى حقل الاقتصاد السياسى فى كتابه التالى الصادر العام الماضى (رأس المال والإيديولوجيا). قدم دراسة جيدة، ولكنها تقليدية فى منهجها ومحتواها وخلاصتها0 ولم يكتف بيكيتى بهذا التراجع الذى أحبط من راهنوا عليه، بل أخذ خطوة أخرى إلى الوراء فى كتابه الجديد الصادر أخيرًا (وقت للاشتراكية – رسائل من عالم يشتعل). كتاب خفيف يمكن أن يُصدر مثله أى سياسى مثقف. يُوجه بيكيتى فى هذا الكتاب ما يمكن أن نسميها رسائل استغاثة من توحش الرأسمالية، التى يرى أنها مُفرطةً فى رأسماليتها. وكان الأجدى أن يدرس آليات عمل هذه الرأسمالية التى توحشت، وأدوات هيمنتها، لتفنيد طروحات الليبراليين الجدد التى اجتهد أكاديميوهم فى تأسيسها علميًا، بعد أن قدم فى كتاب (رأس المال فى القرن 21) ما يكفى لإثبات أن التفاوت الاجتماعى يزداد بشكل مطرد وسريع منذ أن بدأت هذه النسخة الشائهة من الليبرالية فى الانتشار فى آخر السبعينيات. والكتاب الجديد فى مجمله بمثابة إعلان تحول بيكيتى من العلم والأكاديمية إلى

السياسة، برغم أنه يدعم رسائله ببيانات وجداول ومعادلات اختار معظمها من كتابه الأهم الصادر قبل 8 سنوات. والمهم، فى انتقاله من الأكاديمية إلى السياسة، أنه لا يقدم جديدًا سياسيًا، إذ يُذكِّرنا بمبادئ سُحقت فى ظل توحش الرأسمالية، وكنا ننتظر أن يستخدم علمه فى إعادة تأصيلها بما ينسجم مع الزمن الرقمى ومتغيراته الكبرى، وأن يُقدم نموذجًا تحليليًا جديدًا يواجه النموذج الليبرالى الجديد الذى يجذب شبابًا نابهين يعتقدون فى صحته، ويرون فيه ما يُحقق طموحاتهم، ولا يُعنون بالاختلالات والمظالم المترتبة عليه، ولا يدركون أنه يقود العالم، وهم جزء منه، إلى مصير بائس.